حروف المعاني وأثرها في توجيه المعنى عند الأصوليين كتاب قواطع الأدلة للسمعاني أنموذجا

د . أحمد مجتبــى السيد محمد ــ قسم اللغة العربية ــ كلية الآداب ـ جامعة سبها.

Effect of meaning letters in directing meaning in book of Qwate Aladelah by Assmaane as a model

Ahmed mojtaba alsyid mohammed

abstract

The book of Qwate Aladelah by Assmaane (died 489) is one of important books in Fundamentals of Islamic jurisprudence, this book give so Many benefits, so that Many scholars praised him.

The author of this book has discuss many problems related to Islamic jurisprudence and its Fundamentals , he used Arabic language rules in Analysis of jurisprudential issues, so when We read carefully his book we find that the author has used a lot of letters which give a meaning these letters have important role in understanding many Jurisprudential issues, such as preposition , conjunctions and others Because of this importance this paper titled as

Effect of meaning letters in directing meaning in book of Qwate Aladelah by Assmaane as a model

In this paper these letters will be discussed to clarify Semantic meaning

Because Fundamentals of Islamic jurisprudence is based on Objectives of Islamic Sharia and understanding semantic.

Key words: meaning letters, Qwate Aladelah, preposition, conjunction

الملخـــــــــص:

يعد كتاب قواطع الأدلة للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني المتوفَّــى سنة 489هـ أحد مدونات أصول الفقه المهمة ذات القيمة العلمية العالية والفائدة الجمة ؛ فقد أثنى عليه كثير من العلماء ممن ترجم له، و قد جـمع المصنف في هذا الكتاب القيم كثيراً من المسائل المتعلقة بأصول الفقه موضحاً ومبينا كثيراً من المبهمات التي تغيب عن ذهن المتعلمين وطلاب العلم مستخدماً في ذلك حذقه

ومعرفته بعلوم اللغة التي تعد أداة العلماء في الغوص على أسرار العلوم وإبراز المعاني ومن خلال الاطلاع على كتاب (قواطع الأدلة) نجـــد أنه قد وظّف حروف المعاني في فهم كثير من المسائل وتوجيه دلالة الألفاظ بما يخدم النص الشرعي، ويسهم في إيصال المفهوم إلى المتلقي عن طريق الأثر الدلالي الذي تحدثه حروف المعاني ، وانطلاقا من ذلك ونظراً لأهمية هذه الحروف في أداء المعنى كانت هذه الورقة بعنوان: حروف المعاني وأثرها في توجيه المعنى عند الأصوليين كتاب قواطع الأدلة للسمعاني أنموذجا، والتي سيتم فيها بعون الله تناول أحرف المعاني في هذا الكتاب وتحليل المعاني التي تقيدها ومدى توجيهها للمعني وأثرها في فهم الدلالة؛ إذ إنّ علم الأصول علم قائم على فهم مقاصد الشريعة واستيعاب الدلالة سواء أ كانت ، نحوية أو صرفية، أو صوتية، أو معجمية ولاشك أن لحروف المعاني دورها الذي لا ينكر في التوجيه الدلالي وفهم المعاني

الكلمات المفتاحيـــة: حروف المعاني، قواطــع الأدلة، السمعاني، حروف العطف، حروف الجر.

المقدمـــة:

يُعد علــم النحو هو المرتكز والأساس لكلّ العلوم فبه تتضــح المعاني، ويُتوصل إلى مقصد المتكلم، ولا شك أن العلاقة بين النحو والعلوم الشرعية علاقة وثيقة لا يمكن جحدها أو إنكارها فعلم النحو وما يتعلق به يعداً شــرطاً مهما يجب أن يتوفر في المفسر والفقيه ، والمحدث والأصولي؛ فكثير من الأحكام الفقهية يرجع الاختلاف فيها إلى الاختلاف في التوجيه النحوي .ولعل لحروف المعاني دورٌ كبيرٌ في توجيه الدلالة ومعرفة المعنى ؛ وقد أفــرد السّمعاني في كتابه : قواطع الأدلة باباً تحدث فيهما عن الحروف ومعانيها مبينًا أثر ذلك في بعض الأحكام المتعلقة بالفقه وأصوله ؛ مستدلاً بما تيســر له من آراء العلماء، ومهمة هذا البحث هي دراسة المعنى الذي تحدثه هذه الحروف في كتابه دراسة وافية مبينًا رأيه، وآراء غيره من الأصوليين والفقهاء والنحويين، ومبرزًا ما تفرع عن هذه الآراء من أحكام فقهية، وموضحًا أوجه التقارب والاختلاف بين آراء الأصوليين والفقهاء وبين آراء النحويين ، وذلك انطلاقاً من أن حروف المعاني تعد من الأدوات النحويــة المهمة تضفي على الكلام معاني وفقا للسياق الذي ترد فيه وخاصة إذا ارتبطت هذه الحروف بالتوجيه الدلالي والمعنى؛ فكثير من العلماء في العلوم الإسلامية كالمفسرين وغيرهم بنوا توجيههم للمعنى الدلالي على تفسير معنى الحرف من خلال السياق لدرجة أنهم يختلفون أحيانا

في المعنى المراد في النص القرآني وفقاً لاختلافهم في تفسير معنى الحرف وهذا بدوره يؤدي إلى الاختلاف في كثير من الأحكام؛ ذلك أن الحكم الذي يشير إليه النص يختلف باختلاف الحرف الوارد في النص. وهذا الأمر جعل كثيرا من العلماء يختلفون في إثبات الحكم بناء على اختلافهم في ذكر معاني الحروف وأثرها الدلالي، ونظراً لأهمية حروف المعاني في توجيه المعنى وتحديد الدلالة فقد وقع اختياري على موضوع يتعلق بالمعنى الذي تحدثه حروف المعاني بهدف الوصول إلى المعنى فكان العنوان: حروف المعاني وأثرها في توجيه المعنى عند الأصوليين كتاب قواطع الأدلة للسمعاني أنموذجا

وهذا الكتاب من أهم الكتب التي تناولت علم أصول الفقه، وقد تناول المؤلف فيه حروف المعاني التي كان لها دور كبير في فهم المعنى وتوجيهه، وانطلاقا من تعدد وتشعب حروف المعاني عند السمعاني فقد اخترت أكثر الحروف دورانا عنده وأكثرها أهمية في إنتاج المعنى وفقا للسياق، وبهذا فقد تم تقسيم البحث على ثلاثة مباحث هي:
المبحث الأول: حروف العطف وأثرها في توجيه المعنى عند السمعاني، والمبحث الثاني: حروف الجر وأثرها في توجيه المعنى عند السمعاني، والمبحث الثالث: بعض الأحرف المتفرقة وأثرها في توجيه المعنى عند السمعاني

تمهيد:

الحـــرف في اللغة: يعرف الحرف في اللغة بأنه الطّرف، والحدّ، والشفير، يقول الجوهري في الصحاح: "حرف كلّ شيء طرفه، وشفيره، وحدّه، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدد" (1)، وفي لسان العرب:" والحرف من السفينة والجبل جانبُهُما والجمع أحرُف وحروف"(2)، ومن ذلك قوله – تعالى -: **﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾** (3) ؛ أي على وجه واحدٍ وهو أن يعبده على السرّاء دون الضراء.

الحرف في الاصطلاح : ومن المعنى اللغوي وفقا للتطور الدلالي واتساع الدلالة ظهر المعنى الاصطلاحي فصار الحرف عند النحويين هو كلّ كلمة دلت على معنى في غيرها ، ويشير ابن منظور إلى العلاقة الوثيقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي فيقول: "الحروف من حروف الهجاء معروف وحد حروف التهجّي والحرف: الأداة التي تُسمّى الرّابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما"(4) ، ولعلّ أوضح تعريف للحرف في الاصطلاح ما ورد عن الخليل بن أحمد حيث يقول:" الحرف من حروف الهجاء، وكلّ كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني تسمى حرفاً و إن كان بناؤها بحرفين أو أكثر مثل: حتى، وهل، وبل، ولعلّ، وكل كلمة

تقرأ على وجوه من القرآن تسمّى حرفاً، يقال يقرأ هذا الحرف في حرف ابن مسعود؛ أي في قراءته"(5) ، وعند السمعاني : الحرف: أداة تفيد معنى الكلام إذا ضُم إليه(6) ، ويمكن القول أن حروف المعاني تعد من القضايا المهمة وخاصة إذا ارتبطت بالجانب الدلالي ولا يستغني علماء الفقه وأصول الفقه عن هذه الحروف في توجيه المعاني في المسائل المختلفة ويؤكد ابن فارس اهتمام الفقهاء بهذه الحروف؛ حيث يقول في كتابه الصاحبي: "رأيت أصحابنا الفقهاء يضمِّنون كتبهم في أصول الفقه حروفاً من حروف المعاني"(7)

المبحث الأول ـ أحرف العطف ودورها في توجيـــه المعنى في كتاب قواطع الأدلة:

تحدث السمعاني في كتابه قواطع الأدلة عن الحروف التي يحتاج إليها الفقهاء في الاستدلال على المعنى وتوجيه الدلالة؛ فقال في معرض تناوله حروف المعاني :" نذكر الآن معاني الحروف التي تقع إليها الحاجة للفقهاء، ولا يكون بد من معرفتها، وتشتد فيها المنازعة بين أهل العلم فمنها حروف العطف"(8). ويمكن تناول هذه الأحرف حسب ورودها عنده على النحو الآتي:

أولاً ـ حرف العطف الواو : يرى جمهور النحويين أن الواو تأتي غالباً لمطلق الجمع؛ أي أن المعطوف والمعطوف عليه يشتركان في الحكم من غير دلالة على الترتيب، أو جمع في وقت واحد، نحو قولنا: جاءني زيدٌ وعمرو، واختصم بكرٌ وخالدٌ، وسواء قعودك وقيامك، ومنه قوله – تعالى- : ﴿**وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ (9) ، وقولــه - تعالى- : ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّدَاً**﴾ (10) ؛ ففي الآيتين الكريمتين تبادل بين المعطوف والمعطوف عليه في الكلام وهذا يدل على عدم إفادة الترتيب في العطف بالواو. وهذا يقود إلى أن واو العطف تدل على إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول، وليس فها دليل على أيهما كان أولاً(11) ؛ وعلى هذا فإنها تكون لمطلق الجمع ، ويقصد بمطلق الجمع الاجتماع في الفعل من غير تقييد بحصوله من كليهما في زمان أو سبق أحدهما(12) ، وهذا مذهب أبي الفتح ابن جني فإنه يرى عدم دلالة الواو على الترتيب؛ فيقول: "فمعنى الواو: الاجتماع، تقول: قام زيد وعمرو؛ أي: اجتمع لهما القيام، ولا تدري كيف ترتب حالهما فيه"(13)

وقد أورد السمعاني في كتابه أهم المعاني التي يفيدها حرف العطف (الواو)، وما الأثر الدلالي الذي تحدثه؟ وذكر أولا الخلاف بين أهل العلم في إفادتها الترتيب من عدمه. فقال:" الواو لها ثلاث مواضع: حقيقة، ومجاز، ومختلف في حقيقته ومجازه؛

فالحقيقة أن يستعمل في العطف للجمع والاشتراك كقولك: جاءني زيد وعمرو، والمجاز أن تستعمل بمعنى (أو) كقوله تعالى : ﴿**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾،(14) والمختلف في حقيقته أن تستعمل في الترتيب لقوله تعالى: ﴿**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُ**﴾ (15) فذهب جمهور أهل اللغة وأكثر الفقهاء أنها تكون إن استعملت في الترتيب مجازاً .(16)

يتحدث السمعاني في هذا النص عن الدلالة التي يفيدها حرف العطف (الواو) متحدثا عن الخلاف الوارد بين العلماء في إفادتها الترتيب من عدمه؛ فهو يذهب إلى أن إفادتها الترتيب إنما هو معنى مجازي، والأصل أن تفيد الجمع والاشتراك، وهذا هو الاستعمال الحقيقي لها، وقد ساق السمعاني بعض الشواهد على هذه المعاني التي تفيدها الواو حسب السياق، ومن ذلك قوله ﴿**تعالى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾ **(17)** ، فهو يشير إلى أن بعض العلماء يرى أن (الواو) حسب هذا السياق قد جاءت بمعنى (أو) التي تفيد التخيير، وعلى هذا الأساس؛ فالأمر بالنكاح يكون على وجه الخيار؛ أي أنكحوا : مثنى، أو ثلاثة، أو رباع على قدر الحاجة ووفقا للمقدرة، وهذا المعنى وفق السياق ليس هو المطلوب؛ إذ لو كان (الواو) هنا بمعنى (أو) لوقف الأمر عند أحد الخيارات؛ إذ أن من تزوج مثنى لا يحق له ثلاث، ومن تزوج ثلاث لا يحق له أربع، وهذا مناقض لمفهوم الآية والمراد منها؛ فاستخدام الواو هنا بمعناه الحقيقي يفيد الجمع والاشتراك، كما أن السمعاني يشير إلى أن جماعة من أهل العلم ذهبوا إلى إفادة الواو الترتيب مستدلين بقوله – تعالى- : ﴿**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ**﴾(18) حيث قدم غسل الوجه على غسل اليدين وفقا لترتيب فرائض الوضوء .

ويورد السّـمعاني شـاهداً آخـر على إفادة حرف العطف الـواو معنى الاشتراك فقال ما نصه: "وكذلك لو قال رجل لغيره: لا تشتر اللحم بالدراهم الصحاح ولا الخبز كان معناه ولا تشتر الخبز بالدراهم الصحاح، وإنما كان كذلك لأن العطف يفيد اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم ، وحكم المعطوف عليه هو المنع من شراء الخبز بالدراهم الصحاح لا المنع من الشراء بالدراهم على الإطلاق؛ لأن المنع من الشراء على الإطلاق غير مذكور فلا يتصور فيه مشاركة.(19)

في هذا النص دلالة واضحة على أن السمعاني يرى أن المعنى الدلالي الذي يفيده حرف العطف الواو هي الجمع والاشتراك في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه دون أن يشترط وجود ترتيب بينهما. وهذا هو مذهب جمهور النحويين.

ثانياً ـ حرف العطف الفاء: من المتفق عليه عند جمهور النحويين أن الفاء العاطفة تفيد الترتيب مع التعقيب؛ إي تفيد سرعة وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه بشكل مباشر ودون إبطاء أو تأخير، وقد أشار ابن مالك إلى هذا الأمر بقوله في ألفيته في باب حروف العطف:

والفاء للترتيب باتصال وثم للترتيب بانفصال (20)

وهذا تماماً ما قرره سيبويه في كتابه بقوله:" والفاء وهي تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت بالواو غير أنها تجعل ذلك متسقاً بعضه في أثر بعض؛ وذلك كقولك : مررت بعمرو فزيد فخالد" (21) ، وإلى هذا المعنى أشار السمعاني بقوله: "أما الفاء فمقتضاها التعطيف والترتيب من غير تراخٍ كقولك: ضربت زيداً فعمراً؛ ففيه أن عمراً مضروب عقيب زيد بلا تراخ؛ (22) فهو يرى الرأي الذي أجمع عليه النحاة أن الدلالة الحقيقية التي يفيدها حرف العطف الفاء هي الترتيب من غير تراخ ولا مدة زمنية طويلة بين المعطوف والمعطوف عليه، وساق لذلك مثلا يؤكد فيه هذا المعنى وهو قوله: ضربت زيداً فعمرا؛ حيث إن المعطوف قد وقع مباشرة بعد المعطوف عليه دون تراخ أو مهلة ، كما أورد السمعاني شاهدا من القرآن الكريم يبين الأثر الدلالي الذي يحدثه حرف العطف الفاء .وهو قوله تعالى: **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾** (23) ؛ فهو يرى أن هذه الآية الكريمة فيها قرينتان تدلان على الفور؛ أي سرعة وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه إحدى هاتين القرينتين تتمثل في حرف العطف (الفاء) ، وهي في هذا السياق دالة على التعقيب لامحالة؛ فالمطلوب في الآية الكريمة هو سرعة سجود الملائكة امتثالاً للأمر الإلهي وبدون إبطاء ولا تأخير، أما القرينة الثانية التي تدل على الفور أيضاً فهو فعل الأمر في قوله: (فَقَعُوا لَهُ)؛ وذلك أن فعل الأمر قد وقع جوابا لإذا الشرطية؛ فيكون التقدير حينئذ :"فقعوا له ساجدين وقت تسويتي إياه" "الدلالة على الفور ليس من ذات صيغة الأمر بل من القرائن."

حـــــرف العطف (ثم) : تعد (ثم) أحد أهم حروف العطف التي تجمع بين المعطوف والمعطوف عليه لفظاً وحكماً، غير إنه يفيد الترتيب والتراخي، والترتيب كما هو معروف هو وجوب وقوع المعطوف عليه أولا ثم يترتب بعده المعطوف, أما التراخي: فيعني أن هناك فاصلاً زمنيا بين المعطوف والمعطوف عليه في ثبوت الحكم بينهما

وإن كانا مشتركين في الحكم نفسه, نحو: جاء زيد ثم محمد؛ أي أن (محمد) وإن كان قد اشترك مع (زيد) في المجيء إلا أن مجيئه وقع مرتباً بعد المعطوف عليه, كما أنه لم يأتِ بعد (زيد) بشكل مباشر بل حصل بين مجيئهما فاصل زمني وهو ما يطلق عليه التراخي, ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ**﴾ (24)

نلحظ بالتمعن في الآية الكريمة أن التحول من طور إلى طور في الخلق يحتاج وقتاً؛ ولهذا نجد التعبير القرآني استعمل (ثم) في العطف دلالة على أن هناك فترة زمنية بين أطوار الخلق.

ويؤكد السمعاني على المعنى الذي يفيده حرف العطف (ثم) على نحو ما أجمع عليه جمهور النحاة من أن معناه الحقيقي الذي يستخدم له هو الترتيب مع التراخي؛ أي ترتب المعطوف بعد المعطوف عليه بفترة زمنية قد تطول وتقصر حسب الحاجة؛ فقال: "وأما حرف (ثم) فللترتيب ، والتراخي كقولهم: ضربت زيداً ثم عمراً؛ فمقتضاه وجود مهلة بين الضربين ولا دليل على مقداره من جهة اللفظ" (25) ؛ ففي هذا النص لا يخرج السمعاني عن إجماع أهل النحو في إثبات المعنى الذي يفيده حرف العطف ثم ، وقد دلَّل على ذلك بمثال يوضح فيه الوظيفة التي يؤديها هذا الحرف؛ وهو المثال الذي اعتاد توظيفه في الاستدلال على كثير من معاني الحروف : ضربت زيداً ثم عمراً ؛ فضرب عمر لم يقع بشكل فوري بعد ضرب زيد ، بل إن هناك مهلة وفترة زمنية بين المعطوف والمعطوف عليه، ويتوسع السمعاني في الحديث عن هذا الحرف ذاكراً بعض المعاني التي يفيدها إلى جانب معناه الأصلي ؛ فيرى أن الحرف (ثم) في بعض الأحيان قد تأتي بمعنى الواو على سبيل المجاز، ويستدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم يوضح فيها هذا المعنى، ومن ذلك قوله - تعالى- : ﴿**ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ**﴾ (26) ؛ أي : إن المقصود وفقا لهذا الرأي : والله شهيد على ما تعلمون.

ثالثاً ـ حـــــرف العطف أو: ذكر النحويون أن حرف عطف (أو) يفيد معاني كثيرة أشهرها:

1-**التخيير** (27) : وهو الانتقاء، و الانتخاب؛ أي: تفويض للسامع بالخيار، وذلك نحو قولك : أقرأ كتاباً، أو قصة ، فقد خيّرتَ بينهما، ولا يجوز الجمع، وكثيراً ما تقع بعد الطلب.

2-**الإباحـــــة:** و يكون للمخاطب حرية اختيار أحد المُتعاطفين، أو اختيارهما معاً، أو الجمع بينهما، وذلك نحو قولك : جالس الفُقهاءَ، أو النحاةَ ، و قولك : تعلَّمِ الفقهَ، أو اللغةَ ؛ أي: ذلك مباح لك فعله إفراداً أو إجماعاً ، و هي تقع بعد الطلب .

3-**الشّـــكّ** (28) : هو حيرة المرء وتردده في أمر ما ؛ و ذلك نحو قوله – تعالى- **: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾** (29)

4-**الإبهام:** ويقصد به الغموض من جهة السامع، و هو بخلاف الشكّ؛ لأن الشك غموض من المتكلم ،و ذلك نحو قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** (30) ومن أمثلة ذلك في الشعر العربي قول لبيد بن ربيعة:

تَمَنَّى ابنتايَ أنْ يعيشَ أبوهما و هل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضَرْ (31)

يقول ابن يعيش في معنى (أو) في هذا البيت: "وقد علِمَ لبيدُ أنّه من مُضر، وليس من ربيعةَ، وإنّما أراد من إحداهما بين القبيلتين كأنه أبهم عليهما.. يُعزّي ابنتيه في نفسه بأنه من إحدى هاتين القبيلتين، و قد فَنَوا و لابُدَّ أن يصيرَ إلى مصيرهم ، و إنّما خصَّ القبيلتين لعظمهما و لو زادَ في الإبهام لكان أعظم في التعزية"(32) .

5-**التقســـــيم:** نحو قولك: الكلمة: اسمٌ، أو فعلٌ، أو حرفٌ، وقد ذكر ابن مالك المعاني التي يفيدها حرف العطف (أو) بقوله:

خيِّر أبح قسِّم بأو وأبهم واشكك وإضراب بها أيضا نمي (33)

وقد أورد السمعاني في كتابه المعاني التي يفيدها حرف العطف (أو) ، والمعنى الدلالي الذي يحدثه؛ فقال في ذلك:" وأما حرف (أو) فلها ثلاثة مواضع: تكون لأحد الشيئين بخبر عنه عند شك المتكلم أو قصده أحدهما كقولك: أتيت زيداً أو عمراً، وجاءني رجل وامرأة هذا إذا شك؛ فأما إذا قصد أحدهما فكقولك: كل السمك أو اشرب اللبن؛ أي لا تجمع بينهما، ولكن اختر أيهما شئت، وكقولك أعطني ديناراً، أو اكسني ثوباً، والوجه الثالث أن تأتى للإباحة كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، وائت المسجد أو السوق، وهذا على الإذن فيهما جميعاً (34) .

هذه هي المعاني الثلاث التي يفيدها حرف العطف (أو)؛ فلم يخرج السمعاني فيها عن إجماع أهل النحو؛ فهو إما أن يفيد التخيير ، أو الشك ، الإباحة، وهذه المعاني لا

تتضح إلا من خلال السياق الذي ترد فيه الكلمة المعطوفة ب(أو) ، إذ إن السياق يقود إلى فهم المعاني وتوجيه الدلالة ، وقد وضح السمعاني بالأمثلة المعاني التي يفيدها حرف العطف (أو)، والحكم الشرعي الذي يترتب على هذه المعاني، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة**﴾ ، فهذه الآية الكريم ورد فيها حرف العطف دالاً على التخيير على التخيير في الأمر وفقاً للمقدرة والاستطاعة ، وقد ذهب مجموعة من أهل العلم إلى أن جميع الكفارات في الآية الكريمة واجب على اعتبار أن (أو) في هذه الآية الكريمة تفيد معنى الواو ، غير أن السمعاني رفض هذا الرأي مؤكداً على أصالة معنى التخيير الذي تفيده (أو)، وذكر حجته وبرهانه على ذلك فقال: "أجمع أهل اللغة على أن (أو) للتخيير، والواو للجمع؛ فلو قلنا أن جميع الكفارات الثلاث واجبة لم يبق فرق بين (أو) وبين الواو مع إجماع أهل اللغة على التفريق بينهما" (35) .

المبحث الثاني ـ حروف الجر وأثرها في توجيه المعنى:

حروف الجر هي روابط تستخدم للربط بين أجزاء الكلام بهدف الوصول إلى المعنى لذلك فإن لها أهمية دلالية مهمة في سياق الجمل والنصوص تظهر هذه الأهمية من خلال توظيف هذه الحروف في مختلف النصوص ؛فهي تحدد المعاني الدلالية من خلال السياق بدقة وتبين مقصدها في الحديث، ولعل حروف الجر من أكثر الحروف استعمالاً، وشيوعاً نظرا لكثرة دورانها في الكلام واحتياج المعنى لها وتعدد معانيها فكثيراً ما أدى اختلاف المفسرين والفقهاء في فهم دلالة الحرف في النص إلى الاختلاف في تفسيره والاختلاف في الحكم المستنبط منه ، وقد سرد السمعاني أحرف الجر المهمة التي يكثر دورانها على الألسن، فقال:" فأما الحروف اللازمة لعمل الجر فهي : من، وإلى، وفي، والباء، واللام".(36) ، ثم شرع يوضح المعاني التي تفيدها هذه الأحرف، والدلالة التي تحملها؛ وذلك على النحو الآتي:

أولا ـ حـــــرف الجر مِن : ذكر السمعاني المعنى الدلالي الحقيقي الذي يفيده حرف الجر(من)، وهو ابتداء الغاية تقول: سرت من البصرة إلى الكوفة (37) وقد أشار السمعاني إلى رأي الفقهاء في استخدام حرف الجر (من) ومعناه فيقول: "أما الذي تعرفه الفقهاء فهو لابتداء الغاية والتبعيض جميعاً، وكل واحد في موضعه حقيقة، وقد ورد مثله يقال: ما جاءني من أحد، وقال تعالى: ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُم**﴾ (38)

ففي الآية الكريمة دلالة واضحة على إفادة التبعيض وفقا للسياق؛ إذ إن الغفران يكون لبعض الذنوب، ثم يذكر السمعاني المعاني التي يفيدها حرف الجر (من)، والتناوب في

المعنى بينه وبين بعض الحروف فهو يشير إلى أن حرف الجر (من) ورد بمعنى حرف الجر (على) واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ**﴾؛ 39؛ أي: المقصود وفق هذا التأويل: ونصرناه على القوم

ثانياً ـ حرف الجر إلى : يفيد حرف الجر (إلى) معنى انتهاء الغاية من المكان أو الزمان ، وهذا المعنى هو الذي أثبته جمهور البصريين؛ حيث إنهم أجمعوا على أن حرف الجر (إلى) لم يوضع إلاَّ لمعنى الانتهاء، وكل ما استعمل فيه بغير هذا المعنى راجع إليه بالتأويل، أو استعمل فيه على التضمين من باب التوسع؛ فالانتهاء إما هو المعنى الوحيد أو أصل المعاني ، وكان كثير من النحويين يصرح بهذا . قال المراديُّ :" إن أكثر البصريين لم يثبتوا لها غير معنى انتهاء الغاية وجميع هذه الشواهد عندهم متأوَّل"(40)، وقد أكد السمعاني هذا المعنى الذي يفيده حرف الجر (إلى) ، وذكر معاني أخرى؛ فمن ذلك أنه يرى أن حرف الجر (إلى) أحيانا يفيد معنى (مع) الدالة على المصاحبة، ويستدل على هذا المعنى بقوله تعالى :**﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ** (41) ؛أي مع أموالكم، ومن الشواهد على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**من أنصاري إلى الله**﴾ (42) ؛ أي : التقدير: من أنصاري مع الله، ومن الشواهد على ذلك أيضاً قوله ـ تعالى- : ﴿**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾(43) ؛أي مع المرافق، وتقول العرب الذود إلى الذود إبل؛ أي مع الذود؛ فالأصل أنه لانتهاء الغاية على مقابلة من فإنها لابتداء الغاية.

ثالثا ـ حرف الجر اللام : لهذا الحرف معانٍ كثيرة تحدث عنها النحويون؛ وأفاضوا في ذلك ، وقد ذكر لها السمعاني المعاني الأشهر والأكثر وروداً واستخداماً؛ فقال فيما نقله عن سيبويه:" وأما لام الإضافة : قال سيبويه: معناه الملك واستحقاق الشي تقول: الغلام لي ، والثوب لفلان" ثم عقّب السمعاني على هذا النص الذي أسنده إلى سيبويه قائلاً: "اللام له ثلاث مواضع (44) : التمليك من قوله – تعالى- : ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**﴾ (45) ، والثاني: التعليل قال الله تعالى :﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ (46) ، والثالث : للعاقبة قال الله تعالى :﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا**﴾ **(47)** وضَّح السمعاني في هذا النص المعنى الدلالي لحرف الجر (اللام)، وأستدل بآيات كريمة يؤكد بها على هذه المعاني التي يتوصل إليها عن طريق السياق ، ففي الآية الأول : تحدث عن إفادتها للملك والمعنى أن الصدقات ملك للفقراء ، وفي الآية الثانية أفادت معنى التعليل؛ أي : ذكر السبب و المعنى: بسبب أن لا يكون للناس على الله حجة بعد إرسال الرسل إليهم ، وفي الآية الثالث جاءت اللام لإفادة العاقبة ؛

أي : الحدث المترتب على الفعل قبلها والمعنى أن آل فرعون التقطوا موسى عليه السلام وترتب على ذلك الالتقاط أن كان عدواً لهم.

ثالثاً ـ حـــــرف الجر حتى : تعد (حتى) من حروف المعاني التي تؤدي وظائف متعددة بل تكاد تكون الحرف الوحيد في اللغة العربية التي تتعدد استعمالاته على مستوى الوظيفة النحوية؛ فتأتي حرف جر، وعطف، ونصب، وحرف ابتداء كما أنها تدخل على الأسماء، والأفعال على حد سواء؛ فتؤثر في ما بعدها من حيث الوظيفة، ومن حيث الدلالة كذلك ، ويذكر السمعاني المعنى الرئيس للحرف (حتى) من حيث الوظيفة الدلالية وهو انتهاء الغاية من الزمان أو المكان فقال : " وأما حتى فهي للغاية، موردا شواهد من القرآن الكريم على هذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ (48) ، وقال تعالى :﴿**فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ**﴾؛ (49) ، ولأهل النحو في قولهم: أكلت السمكة حتى رأسها وتصريف ذلك ومعناه كلام كثير تركت ذكره ".**(50)**

يشـــير السمعاني هنا إلى التعدد الوظيفي للحرف (حتى)؛ حيث أنه يؤدي وظائف نحوية ودلالية مختلفة؛ فيقود ذلك إلى اختلاف المعنى، وتوجيه الدلالة، وذلك من باب التوسُّع ، وقد تتبادل (حتى) الوظيفة الدلالة مع حرف الجر (إلى) ، وقد ذكر السمعاني هذه المعلومة ذاكراً أمثلة على ذلك تؤيد ما ذهب إليه، ومن ذلك قوله:" نقول لا أفارقك حتى تقضيني حقي يعنى إلى أن تقضيني حقي. وفي هذا دلالة واضحة على معنى الغاية التي يفيدها حرف الجر (حتى).

المبحث الثالث ـ بعض الأحرف المتفرقة ودورها في توجيه المعنى:

أولا ـ الحرف (ما) : للحرف (ما) وظائف متعددة؛ فهو حرف مهمل غير عامل؛ فلا تأثير له في ما بعده من حيث الإعراب غير أن له معاني دلالية تتضح من خلال السياق، وهذه المعاني ذكرها السمعاني مفصلاً فيها قائلاً:" وأما حرف (ما) فلها ثلاثة مواضع:أحدها :للنفي والجحود كقولك : ما لزيد عندي حق وما قام عمرو.والثاني : التعجب كقولك: ما أحسن زيداً، وما أشجع عمرا.والثالث :الاستفهام كقولك: ما فعل زيد وما عندك"؟، ثم يذكر أن (ما) مختصة بالدلالة على غير العاقل بخلاف (مَن) التي تستخدم للعاقل ، فهذه أشهر الاستخدامات المتعلقة بالحرف ما ، ويمكن التفريق بين المعاني بالنظر إلى السياق فهو الذي من خلاله يتحدد المعنى الدلالي للفظة ، وهذه المعاني التي تقيدها (ما) هي من باب التوسع الدلالي ؛ حيث إنه يمكن استخدام هذا

الحرف وفق مقصد المتكلم ، وعلى المتلقي أن يصل إلى المعنى المراد عن طريق السياق سواء أ كانت على مستوى اللغة المنطوقة أم المكتوبة.

ثانياً ـ الحرفان: إن، وأن : يفرق السمعاني بين هذين الحرفين فيما يتعلق بالمعنى الدلالي فيرى؛ أن (أنَّ) المفتوحة الهمزة تفيد الدلالة على الحدث في الزمن الماضي، أما (إنِّ) بكسر الهمزة فدلالتها تكون على المستقبل وقد أشار إلى ذلك صراحة بقوله: "وأما إن وأن ؛ فأنَّ مفتوح لما مضى وإنِّ بالكسر لما يستقبل" **(51)**

ويورد السمعاني جملة يوضع فيها هذا الفرق الدلالي، والأثر الذي يحدثه كل حرف من هذين الحرفين في المعني؛ فلو قال أحدهم لامرأته: أن دخلت الدار فأنت طالق، وإن دخلت الدار فأنت طالق؛ فالأول ايقاع والثاني شرط؛ حيث إن حالة الفتح توجب وقوع الحدث وتحققه ، أما في حالة الكسر فالطلاق مشروط بدخول الدار، والدخول لم يقع بعد، ويظهر في هذه المثال أهمية الحرف في الاستدلال على المعنى ، فكسر همزة إن وفتحها تختلف فيها الدلالة اختلافا جذريا حتى أن الحكم الشرعي يترتب على نطق الجملة المتصدرة بإن مكسورة الهمزة أو أن مفتوحة الهمزة ، وهذا أمر في غاية الأهمية. ويدل على أهمية حروف المعاني في فهم المقصود من الكلام، ومن ثم معرفة الحكم الفقهي أو الشرعي وفقاً للسياق الذي يرد فيه هذا الحرف.

ثالثاً ـ الحـــــرف إنما : يعد الحرف (إنما) حرفاً مركباً من (إن) الناسخة، و(ما) النافية، وهو يفيد القصر من حيث المعنى الدلالي؛ إذ إن القصر يعد من أهم طرائق التوكيد في العربية يستخدمه المتكلم عندما يريد تثبيت المعلومة في ذهن المخاطب، وازالة ما فيه من شكٍّ، بل إنها أقوى طرائق التوكيد وأدلها على تثبيت ما يراد تثبيته أو ره ، ويقول السكاكي: "اعلم أن القصر كما يجري بين المبتدأ والخبر؛ فيقصر المبتدأ على الخبر تارة، ويقصر الخبر على المبتدأ أخرى، يجري بين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول به، وبين المفعولين، وبين الحال وذي الحال" **(52)**

وقد تحدث السمعاني عن (إنما) وعلى أصل تركيبها والدلالة التي تفيدها جراء هذا التركيب؛ فقال في ذلك :"وأما (إنما) أصله (أن) دخلت عليه (ما)، وهو مركب من حرفين أحدهما (أن) التي للإثبات، والآخر (ما) الذي هو للنفي؛ فلذلك صار مثبتاً من وجه نافياً من وجه قال الله تعالى :﴿**إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾53) ، فيه إثبات الألوهية لله تعالى ونفيها عن غيره. فقد قصرت إنما في هذه الآية الكريمة صفة الألوهية لله تعالى، ويفهم من هذا القصر تفرد الله سبحانه وتعالى بالوحدانية صفة مختصة به مقصورة عليه مؤكدة ثابتة.

الخاتمة والنتائـــــج:

في نهاية هذه الورقة يمكن استخلاص بعض النتائج ومنها:

1- يختلف الحكم الذي يدل عليه النص وفقا لاختلاف المعنى الذي يفيده الحرف والمدلول الذي يتضمنه، ويمكن القول إن هذا الأمر هو الذي كان سبباً لاختلاف كثير من الفقهاء في الأحكام الفقهية على حسب اختلافهم في فهم معاني حروف المعاني ومدلولاتها.

2- أورد السمعاني عدداً من حروف المعاني ووضح وظائفها الدلالية، وأهميتها في فهم الكلام فتحدث عن حروف العطف، وحروف الجر وغيرها من الحروف مبينا دورها المهم في فهم دلالة النصوص.

3- استطاع السمعاني توظّيف حروف المعاني في فهم كثير من المسائل، وتوجيه دلالة الألفاظ بما يخدم النص الشرعي، ويسهم في إيصال المفهوم إلى المتلقي عن طريق الأثر الدلالي الذي تحدثه حروف المعاني.

الهوامـــــــــــش:

1 - الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهـــري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط3، 1984 ، 4/ 1342.
2 - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، تح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1999، 3 / 127. مادة حرف
3-سورة, الحج : الآية :11 .
4 -لسان العرب، 128/3.
5 - العين, الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تح د. مهدى المخزومي ود. إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال بدون سنة نشر, 3/ 210-211
6 - قواطع الأدلة في الأصول، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تح: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1997. ، 34/1
7 - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، أحمد بن فارس، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1 1997 ، ص66
8- قواطع الأدلة، 1/ 36.
9 - سورة البقرة، الآية: 58.
10 - سورة الأعراف، الآية: 161
11 -المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الاسلامي، القاهرة ، 1994، 1/ 148 .
12- همع الهوامع ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط1 1998، 1/ 129.
13-اللمع في العربية، اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني ،تح : دكتور. سميح أبو مغلي ،دار مجدلاوي للنشر ، عمان، ط1، 1988 ص 174.
14 - سورة النساء ، الآية: 3
15 - سورة المائدة الآية : 6
16-قواطع الأدلة، 37/1.
17 - سورة النساء ، الآية: 3
18 - سورة المائدة ، الآية: 6
19 - قواطع الأدلة ، 1/ 206
20 - ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة ، ط20 1980، 3/ 227.
21 - -الكتاب، 217/4.
22 - قواطع الأدلة، 206/1.
23 - سورة الحجر ، الآية: 29
24 - سورة الحج ، الآية: 5
25 - قواطع الأدلة، 40/1
26- سورة يونس ، الآية 46
27 - ينظر : معاني الحروف للرماني، علي بن عيسى الرماني ،تح: د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار الشروق ، جدة ، ط2، 1981ص77.
28 - ينظر :الجنى الداني ،ص 228.

29- سورة الكهف ، الآية: 19
30 - سورة سبأ ، الآية: 24
31- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ص79
32 - شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي ابن يعيش، قدّم له ووضع هوامشه: د. ايميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1 2001. 100/8
33 - شرح ابن عقيل، 331/3
34 - قواطع الأدلة 40/1
35 - قواطع الأدلة ، ص40
36- قواطع الأدلة ، ص41
37 - المصدر نفسه ، ص41
38 - سورة نوح ، الآية: 4
39- سورة الأنبياء ، الآية : 77
40 - الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تح: فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ط1، 1992،ص376.
41 - سورة النساء ، الآية: 2
42 - سورة الصف ، الآية :14
43 - سورة المائدة ، الآية : 6
44 - قواطع الأدلة :1/ 45
45 - سورة التوبة ، الآية : 60
46 - سورة النساء ، الآية: 165
47 -سورة القصص، الآية :8
48 - سورة البقرة ، الآية: 222
49 -سورة البقرة الآية :230
50- قواطع الأدلة ، 43/1.
51 - قواطع الأدلة، 45/1.
52- مفتاح العلوم، يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، ص 400.
53-سورة الأنعام ، الآية 19.